www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة من وجود المشكل في القرآن

كتبه وحرره

أحمد بن محمد الشويمي

الباحث بمرحلة الدكتوراة بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إنَّ الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرو أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [سورة الأحزاب:٧٠][1].

أما بعد:

فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أنزل كتابه هداية للناس، وآية دالة على صدق الرسالة، ومجالًا للتعبد بتلاوته وتدبره وفهم مراميه، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢﴾ [سورة الأنعام:٩٢]، وقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [سورة ص:٢٩]، وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [سورة الأنعام:١٥٥].

ومن هنا عكف العلماء قديمًا وحديثًا على هذا الكتاب الكريم؛ حفظًا وتلاوةً وتفسيرًا، ومن عنايتهم بتفسيره أن اهتموا بأحد مباحث علوم القرآن وهو (مشكل القرآن الكريم).

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، كما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه في الحديث الذي أخرجه الترمذي في جامعه (٤٠٥/٣) برقم: (١١٠٥)، وأبو داود في سننه (٤٥٦/٣) برقم: (٢١١٨)، كلاهما في باب النكاح، باب خطبة النكاح؛ وقال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ، وللشيخ الألباني رحمه الله كتاب في خطبة الحاجة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ووقوع الإشكال في تفسير الآيات أمرٌ نسبيٌّ، فقد تُشكل الآية على بعض العلماء ولا تشكل على آخرين(١).

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلًا عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب»(٢).

ومن هنا يظهر أنَّ معرفة المشكل من آيات القرآن، وطرق دفع هذا الإشكال مهمٌ للغاية، وهذه الأهمية نابعة من أنَّ الإشكال الطارئ على قارئ القرآن يحول بينه وبين التدبر للآيات، وقد أمر الله تعالى بتدبر القرآن في غير ما آية.

وقد كانت بعض آيات القرآن تُشكل على بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدفع عنهم هذا الإشكال، وقد وقع هذا لعدد من الصحابة، أكتفي بذكر مثال واحدٍ مُستدلًّا به على ما وراءه للإيضاح والبيان فقط، ومن ذلك:

ما أخرجه البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه من حديث عدي بن حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [سورة البقرة:١٨٧] عَمَدْتُ إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكرت له ذلك فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»(٣).

ومن هذا المثال وغيره يظهر جليًّا أنَّ الإشكال لا يكون واقعًا في أصل الآيات، وإنما هو متعلق بأفهام الناظرين التالِين لهذه الآيات، فعلى هذا لا مانع من وجوده القرآن الكريم، ولأنه قد يسأل سائلٌ: فما حِكمة وجوده؟ أحببتُ أن أكتب في بيان هذه الحكمة سائلًا الله عَزَّ وَجَلَّ السداد والتوفيق.

---

(١) ينظر: مشكل القرآن الكريم لعبد الله المنصور (ص:٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٤٠٠).

(٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟...﴾ [سورة البقرة:١٨٧]، (٣/٢٨) برقم: (١٩١٦)، وينظر مثالًا على ذلك أيضًا ما أخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ...﴾ [سورة لقمان:١٢]، (٤/١٦٣) برقم: (٣٤٢٩)، وغير ذلك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة من وجود المشكل في القرآن

أقول مستعينًا به ﷻ: لوجود المشكل في القرآن الكريم حِكَمٌ عديدة، منها ما يأتي:

أولًا: حث العلماء على البحث في دقائقه، فإن استحضار ذلك من أعظم القرب والطاعات، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص:٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد:٢٤].

ثانيًا: إظهار تفاضل العلماء فيما بينهم، فبعض المشكل قد يخفى على بعض أهل العلم وينجلي للبعض الآخر، كما قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة يوسف:٧٦]، فقد يقف العالم أمام آية من المشكل ولا يجد لها مخرجًا، ويفتح الله على آخر.

ثالثًا: في وجود المشكل تحقيقٌ للاختبار والابتلاء، فالمؤمن ثابتٌ مستسلمٌ لما جاءه عن الله ﷻ، والذين في قلوبهم زيغٌ يُشككون ويطعنون.

رابعًا: تحقيق إعجاز القرآن الكريم، لأنَّ كل استشكال يرد على كتاب الله يُسفر عن روعة بلاغته، واتساق نظمه، وإحكام ترابطه، ودقة معانيه.

خامسًا: بيان تحقيق موعود الله ﷻ في تكفله بحفظ كتابه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحجر:٩].

سادسًا: الحث على التمكن في العلم والازدياد منه، لأنه لا يحصل حل المشكل إلا بعلم راسخ وإيمان قوي.

سابعًا: العناية بمجموعة من العلوم الهامة التي لا بد منها لتفسير المشكل، وخصوصًا علم أصول الفقه واللغة، والبلاغة والبيان والمعاني، وبعض علوم الآلة كالنحو والصرف وغيرها.

ثامنًا: تنزيه القرآن الكريم، وبيان أن الإشكال والاختلاف إنما هو في نظر المجتهدين وليس واقعًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:٨٢].

تاسعًا: نفي تأويلات الجاهلين، وانتحالات المبطلين، وبذل الجهد في إظهار كيدهم للإسلام ودفعه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

عاشرًا: اتساع مدارك العلماء وطلاب العلم الذين يتصدرون لحل هذه المشكلات، فإن الإقبال على هذه المهمة المتمثِّلة في بيان مراد الله تعالى من المشكل، وما يُصاحبه من بذل وُسْع وجهد؛ لا بد أن يُثمِر اتساعًا في المدارك، ونماء في التفكير، وقوة في البصائر، وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تنبيه:

ينبغي التفطُّن إلى قضية مهمة تتعلق بهذا الموضوع؛ ألا وهي أنَّ العلم بالمشكل لا يعني نشره لمن يحتاجه ومن لا يحتاجه، فقد تكون الآية مشكلة على قومٍ وليست مشكلة على آخرين، كما ينبغي التورع وعدم المسارعة في مثل هذا الباب إلا بعلمٍ وفهمٍ، وفي هذا يقول أبو بكر الأنباريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان الأئمة من السلف الماضي يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن، فبعضٌ يُقدِّر أن الذي يفسره لا يوافق مراد الله عَزَّوَجَلَّ فيُحْجِمُ عن القول، وبعضٌ يشفق من أن يُجعلَ في التفسير إمامًا يُبنى على مذهبه ويُقتفى طريقه، فلعل متأخرًا أن يفسر حرفًا برأيه ويخطئ فيه ويقول: إمامي في تفسير القرآن فلانٌ من السلف»[1].

فهاهنا قضيتان؛ الأولى: العلم بالمشكل، والثانية: المسارعة في الكلام فيه ونشره، وحكمهما يختلف.

فالأولى مرغَّبٌ فيها، والثانية ممنوعة إلا بتوفر أمرين مهمين: العلم، وحاجة السائل إلى البيان ودفع الإشكال عنه[2].

وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذا البحث كاتبه، وقارئه وأن يكتب لي به رضاه عنده، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين

---

(١) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/٣٤).

(٢) انظر: مشكل القرآن لعبد الله المنصور (ص:٩٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب